



في تلقي الأخبار والشائعات والتعامل معها

رسالةٌ مهمةٌ في واقعِ الجهادِ الشَّامي

تأليف

أنس خطاب



١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م

منهج النبي ﷺ
في تلقي الأخبار والشائعات
والتعامل معها

[رسالة مهمة في واقع الجهاد الشامي]

تأليف/

أنس خطاب

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على رسوله الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي . وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي . يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾

وبعد؛

فقد ابتُلِيَت ساحة الجهاد في الشام بانتشار الشائعات بين الناس دون تثبت منها، حتى غدا الناس في تشكك من بعضهم البعض، وكاد البعض أن يفقد الثقة في قادته وشيوخه المعروفين بالسبق والصدق والثبات، وذلك بسبب البعد عن منهج القرآن ومنهج النبي ﷺ في تلقي الأخبار والشائعات وكيفية التعامل معها، وذلك بالتحقق والتثبت منها أولًا كما أمر القرآن، وكما فعل النبي ﷺ الذي كان خلقه القرآن، وكان قرآنًا يمشي على الأرض كما جاء في وصفه عند بعض أهل العلم، وكذلك بسبب البعد عن منهجه ﷺ في التعامل مع هذه الأخبار أو الشائعات بعد التثبت منها، وذلك بمعرفة ما يُذاع من الأخبار الصحيحة بين الناس وما لا يُذاع، وأما بالنسبة للشائعات الكاذبة فيكون ببيان بطلانها وكذبها للناس حال انتشارها بينهم، كما فعل القرآن في حديث الإفك.

فلما ابتعد الناس عن هذا المنهج النبوي الرشيد ضاعوا بين الشائعات والأخبار الكاذبة، وأصبحوا حيارى تتخطفهم الشائعات وتذهب بهم كل مذهب، كما تتخطف الرياح العاتية أوراق الشجر الذابل.

ولهذا رأيت ضرورة الكتابة في هذا الباب نصحًا للمسلمين عامة والمجاهدين خاصة بضرورة التثبت والتحقق من الأخبار قبل تصديقها وتناقلها، وعدم الانسياق وراء الشائعات، ولو كان الناقلون لها ممن يُحسَنُ الظنُّ بهم أو يَظهر من حالهم الصلاح، فقد تناقل حديث الإفك بعض خيار الصحابة كحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة رضي الله عنهما، ولم يخرجه هذا عن كونه إفكًا.

والكتابة في هذا الباب لها أهمية شديدة في ظل واقع المجاهدين وما نراه من أخبار وشائعات تُطلق عليهم حقيقتها الكذب، فيتلقفها الناس مصدقين لها، ويُطَيِّرُهَا عنهم كل مُطَيِّر، حتى تبلغ الآفاق.

وقد انتشرت شائعات كثيرة بين المجاهدين في الشام وصدقها البعض، وتولى كبرها البعض، وتناقل بعضها بعض من يُحسِنُ بعضُ الناسِ الظنَّ بهم، ولهذا أمثلة كثيرة، منها ما قيل بأن المجاهدين قد سلَّموا إحدى مناطقهم للائتلاف الوطني العلماني، وأنهم يسعون لنيل رضا الدول المجاورة لهم[1]، ولإنشاء حكومة مدنية برغبة من هذه

---

[1] ينبغي التنبه للفرق بين تحييد الخصوم والسعي لنيل رضاهم، فالأولى سنة نبوية، وأما الثانية فخبر كاذب يحتاج لإثبات.

الدول تكون امتدادًا لأمنها القومي، وأنهم سيسلمون الحكم في مناطقهم لإدارة وطنية علمانية تحكم بالقوانين الوضعية المدنية، وأنهم يمنعون تدريس التوحيد في مناطقهم ويحاربون من يفعل ذلك، وأنهم سيسحبون السلاح من المدنيين رغم وجودهم في أرض الحرب والجهاد، وزعم بعضهم أنهم يسعون لنيل رضا أمريكا الصليبية، وأن بعض قادتهم قد أرسل لدول الغرب الصليبية يعرض عليها التعاون معها في قتال الخوارج، وذهب البعض لاتهامهم بالخيانة والعمالة للكفار المحاربين، إلى غير ذلك من الشائعات التي يظهر كذبها لكل من تحقق وتثبت منها، وهذه الشائعات وغيرها قد قيلت في أزمنة متباينة من مصادر مختلفة، وصدَّقها بعض الناس في حينها.

وقد أردت في هذه الرسالة تبيين منهج القرآن ومنهج النبي ﷺ والسلف الصالح ﵃ في تلقي الأخبار والشائعات والتعامل معها، ليقتدي المسلم في حياته والمجاهد في جهاده بهذا المنهج الرباني القويم، فلا يصبح عرضة للشائعات والأراجيف التي تؤول بالمرء إلى التشكك والارتياب المُذهِب للإيمان مآلًا، لأن المرء إن كثرت به الظنون والشكوك ترك ما هو عليه من الإيمان والعمل، ولهذا قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**﴾[١].

فقرن الله إيمانهم وجهادهم وصدقهم بعدم الارتياب، والارتياب هو الشك، والشك يتحقق في نفس المرء بسماعه للشبهات والشائعات والأراجيف، سواء كانت مما يتعلق بأمور دينه، أو مما يتعلق بواقعه وعمله الذي يتقرب به إلى ربه ﷻ، كالجهاد وغيره، ولهذا كان واجبًا على من أراد الاحتياط لدينه والنجاة به وعدم الانتكاس عنه أن ينتهج التثبت والتحقق من كل ما يُنقل له، وأن يُعرِض عمن يبث الشبهات والشائعات، ولا يُلقي سمعه له، ولو كان ظاهره الخير والصلاح، استرشادًا بقول الله تعالى: ﴿**لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ . لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَارِهُونَ**﴾[٢].

فهذا صنف من الناس أخبر الله أنه لو وُجِدَ بين المجاهدين ما زادهم إلا عناء وفسادًا وهلاكًا، وذلك لما يقوم بنشره بين الناس من شبهات وشائعات وأراجيف، يسارع بها بينهم بغية إحداث الفتنة وإيقاع الاختلاف، مع وجود من يسمع له من المسلمين والمجاهدين ويصدِّقه في قوله، ظنًّا منه صلاح حاله، لوجوده بين المسلمين في جهادهم، فيذهب للسماع منه واستنصاحه اغترارًا به، لعدم علمه بحقيقة حاله، فيأخذ شبهاته وأراجيفه على محمل الجد والحقيقة دون تثبت أو تحقق، إحسانًا للظن به، وذلك عن انخداع منه واغترار به، وهذا الصنف من الناس له سلف أرادوا الفتنة بالنبي ﷺ حتى أنهم قلبوا له الأمور، كما قال الله عنهم: ﴿**لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ**﴾، أي قلبوا الحق باطلًا والباطل حقًّا في نفوس المنخدعين بهم من الناس.

---

[١] الحجرات: ١٥.

[٢] التوبة: ٤٧ – ٤٨.

قال القرطبي رحمه الله: (أي صرَّفوها وأجالوا الرأي في إبطالِ ما جئتَ به) [1].

فجاءت هذه الرسالة لتُبَيِّن منهج النبي ﷺ في تلقي الأخبار والشائعات والتعامل معها، وقد ظهر لي معالم هذا المنهج أثناء قراءتي للسيرة النبوية، وهو ما أذكره في هذه الرسالة بشيء من التفصيل، ومنهج النبي ﷺ هو المنهج الذي قرره القرآن، إذ النبي ﷺ كان خُلقه القرآن كما جاء في وصفه، وكذلك هو منهج السلف الذين ورثوا هذا المنهج عن رسول الله ﷺ واتبعوه واقتدوا به فيه.

فهذا منهج جدير بالاتباع لمن رام التوحيد، وأراد الاقتداء بالنبي ﷺ في دينه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[2].

قال القرطبي رحمه الله: (﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ﴾ قال سعيد بن جبير: المعنى: لمن كان يرجو لقاء الله بإيمانه، ويُصدِّق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال، وقيل: أي لمن كان يرجو ثواب الله في اليوم الآخر)[3]، ولاشك أن رجاء لقاء الله وثوابه هو من أصل التوحيد، إذ هو من الإيمان باليوم الآخر والبعث والحساب والجنة والنار، وهو ما لا يكون إيمان المرء وتوحيده ونجاته إلا به.

والحمد لله رب العالمين ...

أنس خطاب

بلاد الشام

الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٨هـ

٦ / ٩ / ٢٠١٧م

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، ١٠/٢٣١.

[2] الأحزاب: ٢١.

[3] الجامع لأحكام القرآن، ١٧/١٠٨.

تعريف الخبر والشائعة

الخبر هو ما يتناقله الناس ويُحَدِّثُون به قولًا أو كتابةً مما يتعلق بالأحداث وأحوال الناس، والجمع أخبار.

والشائعة هي الخبر الذي ينتشر دون تثبت، وتُستعمل للتعبير عن الأخبار المكذوبة المنتشرة بين الناس دون ثبوت صحتها، والجمع شوائع أو شائعات، وأصل الشائعة من الشيوع والانتشار، يقال: شاع الخبر، إذا ذاع وانتشر.

والأخبار منها الصحيح ومنها الكاذب، والأخبار لا تكون صحيحة إلا بعد التثبت والتحقق منها، وأما قبل ذلك فهي في حكم الشائعات الكاذبة، والشائعات منها ما يتعلق بأحداث، ومنها ما يتعلق بأشخاص، والشائعات المتعلقة بالأحداث بعضها قد يكون على معنى بث الإرجاف والتخذيل، كالحديث عن ضعف المجاهدين وتجهز عدوهم للحرب وما شابه ذلك، والشائعات المتعلقة بالأشخاص بعضها قد يكون على معنى الطعن في الدين، كما في حديث الإفك وما جرى على معناه.

روى مسلم في صحيحه عن سعد بن هشام بن عامر أنه سأل عائشة رضي الله عنها فقال: (يَا أُمَّ المؤمِنِينَ .. أَنْبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟، قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ القُرآنَ؟، قُلتُ: بَلَى، قَالَت: فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللهِ ﷺ كَانَ القُرآنَ)[1]، وفي رواية للبخاري في الأدب المفرد أنها قالت: (كَانَ خُلُقُهُ القُرْآنَ)[2]، وجاء في وصف النبي ﷺ عند بعض أهل العلم أنه كان قرآنًا يمشي على الأرض.

وقد جاء القرآن الكريم بإرساء منهج رشيد محكم في التعامل مع الأخبار والشائعات، وذلك في آيات مختلفة، وكان النبي ﷺ مثالًا عمليًا لهذا المنهج الذي أرساه القرآن.

- ومن الآيات التي جاءت في ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾[3].

وهذه الآية فيها إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيُخبر بها ويُفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة، كما قال الإمام ابن كثير رحمه الله[4].

وقال القرطبي: (والمعنى أنهم إذا سمعوا شيئًا من الأمور فيه أمن، نحو ظَفَرِ المسلمين وقتل عدوهم ﴿**أَوِ الْخَوْفِ**﴾ وهو ضد هذا ﴿**أَذَاعُوا بِهِ**﴾، أي أفشوه وأظهروه، وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته.

فقيل: كان هذا من ضعفة المسلمين، عن الحسن، لأنهم كانوا يُفشون أمر النبي ﷺ، ويظنون أنهم لا شيء عليهم في ذلك، وقال الضحاك وابن زيد: هو في المنافقين، فنُهُوا عن ذلك لما يلحقهم من الكذب في الإرجاف)[5].

وقال الأستاذ/ سيد قطب رحمه الله: (والصورة التي يرسمها هذا النص، هي صورة جماعة في المعسكر الإسلامي، لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمة الإشاعة في خلخلة المعسكر، وفي النتائج التي تترتب عليها، وقد تكون قاصمة، لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث، ولم يدركوا جدية الموقف، وأن كلمة عابرة وفلتة لسان قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال وما لا يُتدارك بعد وقوعه بحال!، أو - ربما - لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر، وهكذا لا يعنيهم ما يقع له من جراء أخذ كل شائعة

---

[1] صحيح مسلم (٧٤٦/١٣٩).

[2] الأدب المفرد (٣٠٨)، وصحيح الأدب المفرد (٢٣٤).

[3] النساء: ٨٣.

[4] تفسير القرآن العظيم، ١/١٠٨٦.

[5] الجامع لأحكام القرآن، ٦/٤٧٨.

والجري بها هنا وهناك، وإذاعتها، حين يتلقاها لسان عن لسان، سواء كانت إشاعة أمن أو إشاعة خوف .. فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورة مدمرة!.

فإن إشاعة أمر الأمن مثلًا في معسكر متأهب مستيقظ متوقع لحركة من العدو .. إشاعة أمر الأمن في مثل هذا المعسكر تُحدث نوعًا من التراخي – مهما تكن الأوامر باليقظة –، لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر، غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر!، وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية!.

كذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن لقوته، ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة، وقد تُحدِث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكًا، وحركات لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف، وقد تكون كذلك القاضية!)[1].

وقال الشيخ عبد العزيز الطريفي – فك الله أسره –: (يعني أنهم يُعلنون أخبار الأمة وأسرارها، ولا يُفرِّقون بين ما يُعلن وما لا يُعلن)[2].

وقال: (وإنما نهى الله عن إذاعة الأخبار قبل عرضها على أهل المعرفة بها، لأن الأخبار المرسلة يعتريها الكذب والإرجاف، فقد تكون حقًّا ولا يجوز إذاعتها، لأن فيها هتك لذنب مستور وعورة مغطاة، وقد يكون في إظهارها إرجاف وتثبيط للمؤمنين، فأهل المعرفة يستوثقون من الأخبار، ويعرفون صحيحها من سقيمها، والصالح منها للإذاعة وغير الصالح، ولهذا قال الله: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾)[3].

وقال أيضًا: (وفي إطلاق اللسان بالأخبار آثام لا تُحصى، لفتنة الناس بعضهم ببعض، وبث الخوف أو الجبن أو التسبب في ركونهم إلى الدنيا والافتتان بها، ففي السنن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ»، وأخرجه مسلم في مقدمة صحيحه.

وفي هذه الآية إشارة إلى أن المنافق همّه سلامة نفسه وماله وأهله، ولا يعنيه من الأخبار ما يضر بالأمة ويفسدها، فإن الآية في سياق الأخبار المتعلقة بمصالح الأمة ومضارها)[4].

وقوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ يفيد أن من لم يشمله فضل الله ورحمته بأن يكون من المتبثين والمتحققين من الأخبار قبل نشرها، فإنه يقع في اتباع الشيطان ويلحق بركب المنافقين الذين أشارت إليهم الآية، ولو كان مُعظَّمًا عند الناس.

٢- وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾[5].

---

[1] في ظلال القرآن، ٢/٧٢٣ – ٧٢٤.

[2] التفسير والبيان، ٢/٩٠١.

[3] المصدر السابق، ٢/٩٠٥.

[4] المصدر السابق، ٢/٩٠٦ – ٩٠٧.

[5] النور: ١٢.

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (هذا عتاب من الله تعالى للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا ... وقيل: المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يَبْعُد فيهم، فذلك في عائشة وصفوان أبعد)[١].

وقال: (قوله تعالى: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ قال النحاس: معنى "بأنفسهم" بإخوانهم، فأوجب الله على المؤمنين إذا سمعوا رجلًا يقذف أحدًا، ويذكره بقبيح لا يعرفونه به، أن يُنكِروا عليه ويُكَذِّبوه، وتواعد من ترك ذلك ومن نقله.

قلت: ولأجل هذا قال العلماء: إن الآية أصل في أن درجةَ الإيمان التي حازها الإنسان، ومنزلةَ الصلاح التي حلها المرء، ولُبسةَ العفاف التي يستتر بها المسلم، لا يُزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع، إذا كان أصله فاسدًا أو مجهولًا)[٢].

وقال ابن كثير رحمه الله: (أي قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم، فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى، وقد قيل: إنها نزلت في أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته رضي الله عنهما، كما قال الإمام محمد بن إسحاق بن يسار عن أبيه عن بعض رجال بني النجار أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة رضي الله عنها؟، قال: نعم وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟، قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك)[٣].

يقول الدكتور/ منير محمد الغضبان رحمه الله: (ليبق الميزان الحساس في الحكم على الإشاعة هو الميزان الذاتي، فلابد من ثقة الأخ بإخوانه ثقته بنفسه، وقد أقر القرآن الكريم هذا الميزان وأثنى عليه، وذلك بمناسبة الحديث الذي جرى بين أبي أيوب الأنصاري وزوجه أم أيوب ... ونتمنى لكل أخ وهو يثير الإشاعة بحق أخيه أو قيادته أن يحسب على أقل تقدير أن أخاه أو مسؤوله ليس أقل حرصًا على دينه منه، وليس أقل دينًا وورعًا منه، ولو نُفِّذَ هذا الميزان الذاتي لانهارت الإشاعة وانهار الإفك من جذوره)[٤].

وقال ابن كثير: (ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ الآية، أي كما قال أبو أيوب وصاحبته)[٥].

وقال الأستاذ/ سيد قطب: (نعم كان هذا هو الأولى .. أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرًا، وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة، وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم،

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، ١٥/١٧١، بتصرف.

[٢] المصدر السابق، ١٥/١٧١ - ١٧٢.

[٣] تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٧٠.

[٤] المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٣/٨، بتصرف.

[٥] تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٧٠.

فظن الخير بهما أولى ... بعض المسلمين رجع إلى نفسه واستفتى قلبه، فاستبعد أن يقع ما نُسِبَ إلى عائشة، وما نُسِبَ إلى رجل من المسلمين من معصية لله وخيانة لرسوله، وارتكاس في حمأة الفاحشة، لمجرد شبهة لا تقف للمناقشة!.

هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور، خطوة الدليل الباطني الوجداني، فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾)[1].

وقال الدكتور/ منير الغضبان: (وليعلم هذا الأخ أن رواية الإشاعة وتناقل الخبر غير الموثَّق تحيله إلى أخ كاذب، وهذا حكم القرآن في أمثال هؤلاء، هم الكاذبون عند الله، ولو لم يفتر الكذب، لو كان نقله صدقًا محصنًا عمن سمع منه فهو عند الله من الكاذبين)[2].

٣- وقوله تعالى: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾[3].

قال ابن كثير: (قال مجاهد وسعيد بن جبير: أي يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا)[4].

وقال سيد قطب: (﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ .. لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ .. بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم، إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدارك، وقبل أن تتلقاها العقول)[5].

٤- وقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ . يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ . وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[6].

---

[1] في ظلال القرآن، ٤/٢٥٠١ - ٢٥٠٢، بتصرف.

[2] المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٣/٨.

[3] النور: ١٥.

[4] تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٧١ - ٣٧٢.

[5] في ظلال القرآن، ٤/٢٥٠٢.

[6] النور: ١٦ - ١٩.

قال ابن كثير: (هذا تأديب آخر بعد الأول: الأمر بالظن خيرًا، أي إذا ذُكِرَ ما لا يليق من القول في شأن الخِيَرَة، فأولى ينبغي الظن بهم خيرًا، وألا يُشعر نفسه سوى ذلك، ثم إن عَلِق بنفسه شيء من ذلك – وسوسةً أو خيالا – فلا ينبغي أن يتكلم به، فإن رسول الله ﷺ قال : ﴿إن الله تجاوز لأمتي عما حدَّثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل﴾ أخرجاه في الصحيحين.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ أي : ما ينبغي لنا أن نتفوه بهذا الكلام ولا نذكره لأحد ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ أي : سبحان الله أن يقال هذا الكلام على زوجة نبيه ورسوله وحليلة خليله.

ثم قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ أي ينهاكم الله متوعِّدًا أن يقع منكم ما يشبه هذا أبدًا، أي فيما يستقبل ...

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وهذا تأديب ثالث لمن سمع شيئًا من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا يُكثر منه ويُشيعه ويُذيعه)[1].

٥- **وفي قصة نبي الله سليمان** عليه السلام لما غاب عنه الهدهد ثم أتاه قائلًا: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ . وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾[2]، فكان موقفه التثبت والتحري والتحقق من الخبر الذي جاءه مؤكَدًا من أحد جنوده الثقات ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾، رغم تصور حصول الكفر ووجوده في زمانه، فقال له: ﴿سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[3].

٦- **وقوله تعالى**: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[4].

والقراء العشر يقرأون ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ من التبين، إلا قراءة حمزة والكسائي ففيهما: ﴿فَتَثَبَّتُوا﴾ من التثبت[5].

قال الإمام القرطبي رحمه الله: (قيل إن هذه الآية نزلت في الوليد بن عُقبةَ بن أبي مُعَيط، وسبب ذلك ما رواه

---

(1) تفسير القرآن العظيم، ٣/٣٧٢ – ٣٧٣، بتصرف.

(2) النمل: ٢٢ – ٢٤.

(3) النمل: ٢٧.

(4) الحجرات: ٦.

(5) الجامع لأحكام القرآن، ١٩/٣٦٨، بتصرف.

سعيد عن قتادة أن النبي ﷺ بعث الوليدَ بن عُقبةَ مُصَدِّقًا – أي يأخذ الصدقات – إلى بني المصطَلِق، فلما أبصروه أقبلوا نحوه، فهابهم – في رواية: لإحنة كانت بينه وبينهم –، فرجع إلى النبي ﷺ فأخبره أنهم قد ارتدوا عن الإسلام، فبعث نبيُّ الله ﷺ خالدَ بن الوليد وأمره أن يتثبت ولا يعجل، فانطلق خالد حتى أتاهم ليلًا، فبعث عيونه، فلما جاؤوا أخبروا خالدًا أنهم متمسكين بالإسلام، وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد، ورأى صحة ما ذكروه، فعاد إلى نبي الله ﷺ فأخبره، فنزلت هذه الآية)[1].

والشاهد أن النبي ﷺ أمر خالدًا ﷺ لما أتاه الخبر أن يتثبت ولا يتعجل، ولما ذهب خالد للتحقق من الخبر وجده غير صحيح، فإذا كان وجود الشائعات والأخبار المكذوبة جائزًا في عهد رسول الله ﷺ وبين أصحابه، فهو في عهد غيرهم من باب أولى، كما في زماننا وواقعنا الذي نعيشه، ولهذا كان الأمر بالتثبت في غير أزمان الصحابة أشد وآكد.

يقول الشيخ عبد العزيز الطريفي – فك الله أسره –: (أمر الله بالتثبت في رواية الأخبار والأقوال، وكلما كان أثر الخبر عظيمًا على الناس، كان التثبت فيه أوجب)[2].

وقال: (وإذا كان الكلام يتصل بغير الله ورسوله، فأعظمه أشده موضعًا، كالذي يتعلق بأعراض الناس كالقذف، وما يتعلق بأماناتهم وأموالهم، وما تؤكل به حقوقهم، وكلما كان الأثر عظيمًا، وجب التثبت فيه، ولو لم يكن بالنقل عن شخص بعينه، كالكلام الذي يتعلق بخوف الناس وأمنهم، فقد جعل الله نقل مثل هذا الكلام بلا تثبت من صفات المنافقين: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، ونقل الكلام لا يُعفي ناقلَه، ولو لم يكن قائلَه، فالناقل شريك في حكاية الأقوال بلا تثبت، كما قال ﷺ: ﴿كَفَى بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ﴾[3])[4].

٧- وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾[5].

وقد جاءت هذه الآية في سياق الحديث عن عذاب أهل النار وسبب دخولهم سقر.

قال ابن كثير: (﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ أي نتكلم فيما لا نعلم)[6]، وهو نوع من نقل الكلام دون تحقق أو تثبت منه، وقد أوصلهم هذا الخلق الذميم إلى تناقل الكفر والوقوع فيه، فكان جزاؤهم دخول جهنم.

---

[1] المصدر السابق، ١٩/٣٦٨.

[2] التفسير والبيان، ٤/٢٠٦٤.

[3] سنن أبي داود (٤٩٩٢)، والسنن الكبرى للنسائي (١١٨٤٥).

[4] التفسير والبيان، ٤/٢٠٦٥.

[5] المدثر: ٤٥.

[6] تفسير القرآن العظيم، ٤/٥٨٥.

منهج تلقي الأخبار والشائعات عند النبي ﷺ

كما جاء القرآن الكريم بإرساء منهج رشيد محكم في التعامل مع الأخبار والشائعات، فكذلك جاءت بعض النصوص عن النبي ﷺ تُكمل هذا المنهج الذي أرساه القرآن.

ومن ذلك ما رواه مسلم في مقدمة صحيحه عن النبي ﷺ قال: ﴿كَفَى بِالمرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ﴾[1].

قال النووي رحمه الله: (وأما معنى الحديث والآثار التي في الباب، ففيها: الزجر عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حَدَّثَ بكل ما سمع فقد كذب)[2].

وفي الصحيحين أن النبي ﷺ نهى عن قيل وقال[3].

قال ابن كثير: (أي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين)[4]، لأن من استمرأ فعل ذلك فمآله الوقوع في الكذب لا محالة، كما نقلناه عن النووي.

وفي سنن أبي داود عن النبي ﷺ قال: ﴿بِئْسَ مَطِيَّةُ الرَّجُلِ زَعَمُوا﴾[5].

والمطية أي المركوب، ومعنى الحديث كما قال صاحب عون المعبود: (أي أسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ "زعموا" مركبًا إلى مقاصده، فيُخبر عن أمر تقليدًا من غير تثبت فيخطئ ويجرب عليه الكذب، قاله المناوي ... والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك، لا مجرد حكاية على ظن وحسبان ... قال الخطابي في المعالم: أصل هذا أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد ركب مطية وسار حتى يبلغ حاجته، فشبَّه النبي ﷺ ما يُقدِّمه الرجل أمام كلامه ويتوصل به إلى حاجته من قولهم "زعموا كذا وكذا" بالمطية التي يتوصل بها إلى الموضع الذي يقصده، وإنما يقال "زعموا" في حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما هو شيء حُكِيَ عن الألسن على سبيل البلاغ، فذم النبي ﷺ من الحديث ما كان هذا سبيله، وأمر بالتثبت فيه والتوثق لما يحكيه من ذلك، فلا يروونه حتى يكون معزيًا إلى ثبت ومرويًا عن ثقة)[6].

وقد جاءت أفعال النبي ﷺ وتصرفاته صورة عملية تطبيقية لهذا المنهج الرباني، وهذا له أمثلة كثيرة، منها:

---

[1] صحيح مسلم (٥/٥).

[2] صحيح مسلم بشرح النووي، ١٣٣/١.

[3] صحيح البخاري (٦٤٧٣)، وصحيح مسلم (٥٩٣/١٤).

[4] تفسير القرآن العظيم، ١٠٨٧/١.

[5] سنن أبي داود (٤٩٧٢).

[6] عون المعبود ٢٢٧٨/٢، بتصرف.

١- غزوة بدر:

لما بلغ النبي ﷺ خبر رجوع العير ونفير جيش المشركين للقتال، شرع في التحري والتحقق والتثبت من صحة الخبر، ومن ذلك ما رواه ابن هشام في "السيرة النبوية" قال: (ثم ارتحل رسول الله ﷺ من ذفران ... ثم نزل قريبًا من بدر، فركب هو ورجل من أصحابه، وهو أبو بكر الصديق، حتى وقف على شيخ من العرب، فسأله عن قريش، وعن محمد وأصحابه، وما بلغه عنهم)[١]، حتى علم منه أمر جيش المشركين.

ولم يكتف النبي ﷺ بذلك، بل أرسل بعضًا من أصحابه زيادة في التحري والتحقق والتثبت من الخبر، كما روى ابن هشام في السيرة أنه بعث عليًا بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، في نفر من أصحابه، إلى ماء بدر، يلتمسون الخبر له عليه، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم، غلام بني الحجاج، وعريض أبو يسار، غلام بني العاص بن سعيد، فأتوا بهما فسألوهما[٢].

٢- غزوة بني قريظة:

معلوم عن اليهود أنهم أهل غدر ونقض للعهود، وأنهم قتلة الأنبياء، ومع ذلك لما خانت يهود بني قريظة العهد مع النبي ﷺ في غزوة الأحزاب، وبلغ الخبر رسول الله ﷺ، بعث سعد بن معاذ، وهو يومئذ سيد الأوس، وسعد بن عبادة، وهو يومئذ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة، وخَوَّات بن جبير، فقال: ﴿انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ القَومِ أَم لَا﴾[٣].

فالنبي ﷺ سعى في التثبت والتحقق من خبر غدر اليهود ونقضهم للعهود رغم تصور هذا في حقهم واحتماله منهم، وهذا يُبَيِّنُ أن منهج النبي ﷺ هو التثبت والتحقق من الأخبار، ولو كانت محتملة ومُتَصَوَّرة في حق من نُسِبَت إليه، فالتثبت والتحقق من الأخبار الواردة غير المتصورة في حق من نُسبت إليه من باب أولى، وذلك كالأخبار والشائعات التي تُنسب - كذبًا - للمجاهدين ولا تُتَصوَّر في حقهم، ومنها تلك الشائعات التي تتحدث عن تسليم المجاهدين البلاد لحكم وطني علماني يحكم بالقوانين الوضعية، فهذا خبر غير مُتَصَوَّر في حق من حارب كل المشاريع العلمانية في الساحة حتى قضى عليها.

٣- غزوة بني المصطلِق:

بلغ النبي ﷺ أن الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلِق قد جمع لحربه من قَدِرَ عليه من قومه ومن العرب، فبعث بُرَيدَةَ بن الحُصَيب الأسلمي ليأتيه بخبرهم، فذهب إليهم وعَلِمَ حالهم، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره

---

[١] السيرة النبوية، ٢/٣٦٧ - ٣٦٨، بتصرف.

[٢] المصدر السابق، ٢/٣٦٨، بتصرف.

راوية: الإبل التي يُستقى عليها الماء.

[٣] المصدر السابق، ٣/٥٦٧، بتصرف.

بخبر القوم، فندب رسول الله ﷺ الناس، وأخبرهم خبر عدوهم، فأسرع الناس بالخروج[1].

٤- حديث الإفك:

خبر الإفك رواه الشيخان في صحيحيهما[2] بطوله، وملخصه أن عائشة رضي الله عنها خرجت مع النبي ﷺ في إحدى غزواته، فتأخرت في الرجوع حتى تجاوزها الجيش ولم يشعروا بتأخرها، فنامت في مكانها، ظنًا منها أنهم سيفقدونها فيرجعون إليها، وكان صفوان السُّلَمِيُّ رضي الله عنه قد تأخر كذلك عن الجيش، فأصبح عند منزلها، فرأى سَوادَ إنسانٍ نائم، فعرفها حين رآها، وكان قد رآها قبل الحجاب، فاسترجع قائلًا: إنا لله وإنا إليه راجعون، فاستيقظت باسترجاعه، فأناخ راحلته، فركِبَتها، فانطلق يقود بها الراحلة حتى أتى الجيش، ما كلمها ولا كلمته، فلما قَدِما تولَّى كِبرَ الإفك عبد الله بن أُبَيٍّ ابن سلول، فاتهمهما بالزنا – عياذًا بالله –، وأشاع الأمر ونشره بين الناس، حتى تكلم به الناس وشاع بينهم وانتشر وخاضوا فيه، ووقع فيه بعضُ رجالٍ من الصحابة، وممن شهدوا بدرًا كذلك، وكان ممن تكلم فيه حسان بن ثابت، شاعر الرسول ﷺ، ومِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ، وهو من المهاجرين الأولين وممن شهد بدرًا، وحِمْنَةُ بنت جَحْشٍ رضي الله عنهم، وغيرهم، واستمر الناس يخوضون فيه شهرًا، وبقي النبي ﷺ شهرًا لا يوحى إليه بشيء في شأن عائشة رضي الله عنها، فدعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب وأسامةَ بن زيد رضي الله عنهما، يستشيرهما في فراق أهله، فأشار أسامة رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بما يعلم من براءة عائشة رضي الله عنها وأثنى عليها خيرًا، وأشار عليٌّ رضي الله عنه بمفارقتها، ظنًّاً منه أن هذا هو ما يُريح صدر النبي ﷺ ويزيل همه، دون أن يطعن في عائشة رضي الله عنها أو يُظهِر تصديقًا للإفك المثار عليها، وكذلك سأل النبي ﷺ إحدى زوجاته، وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها، فأثنت على عائشة خيرًا، وكذلك سأل بُرَيرَة، وكانت تخدم عائشة، فأثنت عليها خيرًا، ثم نزل الوحي ببراءتها.

وهذا الحديث فيه جملة من الفوائد، بعضها مما يتعلق بمبحثنا في مسألة الشائعات وكيفية التعامل معها، منها وجوب تقديم إحسان الظن وبراءة الذمة في حق من عُلِمَ عنه خيرًا إن قيل فيه خلاف ذلك، كما فعل أسامة بن زيد وزينب بنت جحش وبُرَيرَة رضي الله عنهم.

ومنها أن وقوع المرء فيما يشبه التهمة ظاهرًا ليس بتهمة، ولا يرتقي بالشائعة للخبر الحقيقي، طالما لا يُتصور في حق المُشاع عنه ما يُقال ويُشاع، ويبقى على الأصل، وهو براءة الذمة وإحسان الظن، إذ البينة على من ادعى، وينتقل إساءة الظن لصاحب الإفك ومتولي كِبرِه، كما كان الحال مع عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول.

فبعض الشائعات قد تشبه في ظاهرها الأخبار الحقيقية، لكن هذا لا يخرجها عن كونها شائعة، فعبد الله بن أبي بن سلول لم يشيع إفكه من عدم، بل نظر إلى موقف فيه شبهة، وهو تأخر عائشة وصفوان السُّلَمِيُّ رضي الله عنهما وحدهما عن الجيش، وهذا الموقف يحتمل خلوة محرمة بينهما، والخلوة المحرمة تحتمل وقوع الزنا فيها، فانتهز المنافقُ الموقفَ لإشاعة إفكه الكاذب، ولما كان ظاهر الموقف يحتمل ذلك صدَّقه بعض الناس، وتناقلوا إفكه بينهم، رغم

---

[1] تُنظر القصة تفصيلا في سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤/٤٨٦.

[2] صحيح البخاري (٤١٤١)، وصحيح مسلم (٥٦/٢٧٧٠).

استحالة تصور ذلك في حق من يشاع عنه هذا الإفك.

ومن أمثلة الشائعات التي تشبه في ظاهرها الأخبار الحقيقية ما حصل من انتشار شائعة إسلام قريش بعد قراءة النبي ﷺ لسورة النجم في مكة، لما سجد معه المشركون عند تلاوته لقوله تعالى: ﴿فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا﴾[1]، فظاهر الحدث السجود، لكنه ليس سجود المُذعن المنقاد، فأُشيع الخبر خارج مكة على أن قريشًا دخلت في الإسلام، ووصل لمهاجري الحبشة على هذه الصورة الخاطئة، وسبب ذلك أن الصورة الحقيقية الحاصلة تشبه الصورة الخاطئة المشاعة، وهذا الأمر وهو اشتباه صورة الحدث، مما يكون له أثر في انتشار الشائعات، بسبب التشابه الظاهري، فيتصور الناس الحدث على غير صورته الصحيحة.

وهذا الأسلوب الخبيث من ابن أُبَيّ يتكرر مع الناس بصور مختلفة، وهو عمدة أصحاب الشائعات والأخبار الكاذبة، كالصحفيين وغيرهم، وقَلَّ من ينتبه لذلك، وأمثلته في واقعنا وجهادنا كثيرة، ومن ذلك ما يحدث أحيانًا بين المجاهدين من جلوسهم مع بعض المنافقين أو المحاربين لهذا الدين، لمصالح شرعية معتبرة، كتحييدهم أو غير ذلك، فيتوهم بعض الناس أنه جلوس من نوع العمالة والتآمر، أو من نوع التنازل والمداهنة، وخاصة إن تزامن ذلك مع تطورات سياسية تحتمل دلالات مختلفة، مع أن الجلوس قد يكون له مقاصد عديدة ويحتمل دلالات مختلفة، ومنها التحييد أو الدعوة أو تأليف القلوب، والنبي ﷺ جلس مع رؤوس الكفر والنفاق في زمانه، فمجرد الجلوس ليس بتهمة، كما أن تأخر صفوان السُّلَمِيُّ وعائشة رضي الله عنهما ليس بتهمة، وحمل الأمر المحتمل على أسوأ محامله وعلى التهمة هو من تقديم سوء الظن، ومعلوم أن الأمر إن تطرق له الاحتمال بَطُلَ به الاستدلال.

ومن جملة الفوائد كذلك: أن السكوت عن رد الإفك لفترة - ولو طالت - لا يعني صحته أو صحة الشائعة، فقد تأخر الوحي شهرًا في تبرئة عائشة رضي الله عنها، واستمر الناس يخوضون في الإفك شهرًا، وهذ يعني أن ينتشر في مدينة رسول الله ﷺ الكلام عن وقوع زوجته الطاهرة في الزنا، ويخوض فيه الناس شهرًا كاملًا، وهذا الخوض من الناس مع طول المدة وعدم الإنكار مما يزيد الناس قناعة بما يُقال، بل ربما اقتنع المثير للإفك نفسه بما أثاره، لأجل طول المدة مع كثرة الخوض وعدم الإنكار، ولا يؤثر ذلك على براءة عائشة رضي الله عنها، وهذا الأمر قد يَعرض للمجاهدين كذلك، فقد يُقال في حق قادتهم من الإفك والكذب ما لا يُتصور، ويحصل شيء من التأخر في بيان البراءة لأسباب مختلفة، يفهمها كل من يعيش واقع الجهاد، وهذا التأخر لا يعني ثبوت الإفك في حقهم، بل تبقى براءة الذمة وتقديم إحسان الظن أصلًا مقررًا في حق من عُلِمَ عنه الخير، كما فعل أسامة بن زيد وزينب بنت جحش وبُرَيرَة رضي الله عنهم.

ومنها أن الأصل في الإفك أن يتولى كبره شرار الناس، كعبد الله بن أُبَيٍّ وأمثاله، أما حين يتناقله ويتولى كبره من يُحسب على العلم والجهاد، فهنا تكون المصيبة أشد والإثم أعظم، لانخداع الناس بهم.

يقول الدكتور/ منير الغضبان رحمه الله: (وحين يتحصن الصف من الفرية، وتبقى في صفوف المنافقين فلا خطر

---

[1] النجم: ٦٢، وحديث السجود في صحيح البخاري (١٠٧١)، (٤٨٦٢).

منهم ولا همّ، لكن عندما تنتقل إلى داخل الصف المسلم فتسري فيه سريان النار في الهشيم، عندئذ يبدو خطرهم الكبير. والنص القرآني حين تحدث عن هذه الحادثة كان يخاطب الصف المسلم أكثر مما يخاطب صف المنافقين، ويحمل على المؤمنين الصادقين الذين تأثروا بهذه الفرية، واستجابوا للحديث في الظَّنَّةِ دون بينة)[١].

ومنها أن الإفك يبقى إفكًا ولو تناقله خيار الناس، كما تكلم به حسان بن ثابت، ومِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ، وحِمْنَةُ بنت جَحْشٍ ﭫ، ونقلهم للإفك لا ينقله للحقيقة لمجرد نطقهم به، بل قد يُعاقبون ويُعزَّرون على تكلمهم بهذا الإفك وإشاعته بين المسلمين، ولو كانوا من رؤوس الناس ووجهائهم، كما أُقيم الحد على حسان بن ثابت، ومِسْطَحُ بن أُثَاثَةَ، وحِمْنَةُ بنت جَحْشٍ ﭫ.

يقول الدكتور/ منير الغضبان: (والموقف الأخير الذي نستخلصه من حديث الإفك هو عقوبة المغترين اللاغطين المثيرين للفتنة، فلا يكفي أن تثبت براءة المتهم، ولا يكفي أن تدفع القيادة عنها قالة السوء وانتهى الأمر. بل لابد في الصف المسلم من العقوبة الصارمة مع من يثير الإشاعة ويسعى في نشرها بعد التثبت منها)[٢].

بل قد يقدح نقل الإفك في عدالة ناقليه، ولو كانوا من خيار الناس ظاهرًا، وذلك إن تكرر منهم، حتى أصبح عادة ملازمة لهم، لقول النبي ﷺ كما عند مسلم: «وما يزالُ الرَّجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكذِبَ حتَّى يُكتبَ عند اللهِ كذَّابًا»[٣]، ولاشك أن الإفك من الكذب، وإصرار المرء على نقل الشائعات وعدم التحقق من الأخبار والأقوال مما يدخل في تحري الكذب، لقول النبي ﷺ: «كَفَى بِالمرءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّث بِكُلِّ مَا سَمِعَ»[٤]، فجعل النبي ﷺ نقل الأخبار والأقوال دون تثبت وتحقق منها، من الكذب، فيكون ملازمة ذلك وتقصده من تحري الكذب، ومن كان هذا حاله فهو عند الله كذابًا، وكذلك عند الناس، لأن ميزان المؤمن تبعٌ لميزان الله، ومن كان ممن يتحرَّون الكذب فلا يجوز تصديقه وأخذ العلم والدين عنه، إذ (العِلْمَ دِينٌ، فانظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُم)[٥].

٥- غزوة حنين:

لما بلغ رسول الله ﷺ خبر هوازن وتجهزها لقتاله مع ثقيف وغيرها من القبائل، بعث إليهم عبد الله بن أبي حُدرُد الأسلمي ﷺ، فأمره أن يدخل في القوم فيقيم فيهم، وقال له: إعلَم لنا علمهم، فأتاهم فدخل فيهم، فأقام فيهم يومًا وليلة أو يومين، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا عليه من حرب رسول الله ﷺ، وسمع من مالك وأَمْرَ هوازن وما هم عليه، ثم أقبل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر[٦].

---

[١] المنهج الحركي للسيرة النبوية، ٨/٣.

[٢] المصدر السابق، ١١/٣.

[٣] صحيح مسلم (١٠٥/٢٦٠٧).

[٤] سبق تخريجه.

[٥] مقدمة صحيح مسلم (٥- باب في أن الإسناد من الدين).

[٦] تُنظر القصة تفصيلا في سبل الهدى والرشاد، ٤٦٣/٥، وسيرة ابن هشام، ٧٠٧/٤ - ٧٠٨.

وهذا المنهج كما أنه منهج النبي ﷺ الذي طبقه في حياته، والذي هو منهج القرآن ابتداءً، فهو كذلك منهج السلف رضي الله عنهم الذي ورثوه عن رسول الله ﷺ وعملوا به تأسيًا واقتداءً.

روى البخاري في صحيحه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما بلغه ما يقوله الناس عن تطليق النبي ﷺ لنسائه، خرج يستوثق الخبر ويتحقق منه، قال: (فَدَخَلتُ عَلَى حَفْصَةَ، فَإِذَا هِيَ تَبكِي، فَقُلتُ: طَلَّقَكُنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ؟، قَالَتْ: لَا أَدرِي، ثُمَّ دَخَلتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلتُ وَأَنَا قَائِمٌ: أَطَلَّقتَ نِسَاءَكَ؟، قَالَ: «لَا»، فَقُلتُ: اللهُ أَكبَرُ)[1].

وروى مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (جَاءَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيكُم، هَذَا عَبدُ اللهِ بنُ قَيسٍ، فَلَم يَأذَنْ له، فقال: السَّلَامُ عَلَيكُم، هَذَا أَبُو مُوسَى، السَّلَامُ عَلَيكُم، هَذَا الأَشعَرِيُّ، ثُمَّ انصَرَفَ، فَقَالَ: رُدُّوا عَلَيَّ، رُدُّوا عَلَيَّ، فَجَاءَ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَى .. مَا رَدَّكَ؟، كُنَّا فِي شُغلٍ، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «الاستِئذَانُ ثَلَاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ، وَإِلَّا فَارْجِعْ»، قَالَ: لَتَأتِيَنِّي عَلَى هَذَا بِبَيِّنَةٍ، وَإِلَّا فَعَلتُ وَفَعَلتُ، فَذَهَبَ أَبُو مُوسَى، قَالَ عُمَرُ: إِن وَجَدَ بَيِّنَةً تَجِدُوهُ عِندَ المنبَرِ عَشِيَّةً، وَإِن لَم يَجِد بَيِّنَةً فَلَم تَجِدُوهُ، فَلَمَّا أَن جَاءَ بِالعَشِيِّ وَجَدُوهُ، قَالَ: يَا أَبَا مُوسَى .. مَا تَقُولُ؟ أَقَد وَجَدتَ؟ قَالَ: نَعَم، أُبَيَّ بنَ كَعبٍ، قَالَ: عَدلٌ، قَالَ: يَا أَبَا الطُّفَيلِ .. مَا يَقُولُ هَذَا؟، قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ يَا ابنَ الخَطَّابِ، فَلَا تَكُونَنَّ عَذَابًا عَلَى أَصحَابِ ﷺ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ، إِنَّمَا سَمِعتُ شَيئًا، فَأَحبَبتُ أَن أَتثَبَّتَ)[2].

فعمر رضي الله عنه تثبت من الخبر الذي وصله عن النبي ﷺ، مع كون الناقل له صحابي جليل، والصحابة كلهم عدول ثقات صادقين، ليس فيهم من يكذب، فضلًا عن أن يكذب على رسول الله ﷺ.

وفي معنى ذلك أيضًا ما رواه أبو داود في سننه عن علي رضي الله عنه قال: (كُنْتُ رَجُلًا إِذَا سَمِعْتُ مِن رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا نَفَعَنِي اللهُ مِنهُ بِمَا شَاءَ أَنْ يَنْفَعَنِي، وَإِذَا حَدَّثَنِي أَحَدٌ مِنْ أَصحَابِهِ استَحْلَفْتُهُ، فَإِذَا حَلَفَ لِي صَدَّقْتُهُ)[3].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا قال في موسم من مواسم الحج: (لَو قَد مَاتَ عُمَرُ لَقَد بَايعتُ فُلانًا، فَواللهِ مَا كَانَتْ بيعةُ أَبِي بَكرٍ إلا فَلْتَةً فَتَمَّتْ، فَغَضِبَ عُمَرُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي إِنْ شَاءَ اللهُ لَقَائمٌ العَشِيَّةَ فِي النَّاسِ، فمُحَذِّرهُم هَؤلاءِ الذينَ يُرِيدُونَ أَن يَغصِبُوهُم أُمورَهُم، قَالَ عَبدُ الرَّحمَنِ: فقلتُ: يَا أَميرَ المؤمنينَ لا تَفعَلْ، فَإِنَّ الموسِمَ يَجمعُ رعَاعَ النَّاسِ وغَوغَاءَهُم، فَإنَّهم هُم الذينَ يغلبونَ على قُربِكَ حِينَ تَقومُ فِي النَّاسِ، وأَنَا أَخشَى أَنْ تَقومَ فتَقولَ مَقَالةً يُطَيِّرُهَا عنكَ كُلُّ مُطَيِّرٍ، وأَنْ لا يَعُوهَا، وأَنْ لا يَضعُوهَا على مَوَاضِعِهَا)[4].

---

(1) صحيح البخاري (٨٩).

(2) صحيح مسلم (٢١٥٤/٣٧).

(3) سنن أبي داود (١٥٢١).

(4) صحيح البخاري (٦٨٣٠).

والشاهد من كلام عبد الرحمن بن عوف ﵁ أنه خشي من انتشار الكلام الصحيح عن عمر بن الخطاب ﵁، لكن بفهم خاطئ يفهمه الناس ويتناقلونه عنه، والفهم الخاطئ للكلام الصحيح الثابت كالكلام الخاطئ غير الثابت، كلاهما سواء، ومثاله كذلك الفهم الخاطئ للخبر الصحيح، فهو كالخبر الكاذب والشائعة، كلاهما سواء من حيث الخطأ، فإذا كان عبد الرحمن ﵁ قد تحرز من تناقل الفهم الخاطئ لكلام صحيح، فمن باب أولى التحرز من نقل الكلام والأخبار والشائعات دون تبيُّن صحتها وصحة الفهم لها، وهذا من فقه السلف، ويُبَيِّنُ منهجهم في ذلك، كما يُبَيِّنُ بعد الكثيرين ممن ينتسبون للعلم والسلف في زماننا عن منهج السلف، وذلك بتناقلهم للأخبار والأقوال دون تثبت منها، ودون تثبت من فهمهم لها.

وروى مسلم عن عبد الرحمن بن مهدي قال: (لَا يَكُونُ الرَّجُلُ إِمَامًا يُقْتَدَى بِهِ حَتَّى يُمْسِكَ عَنْ بَعْضِ مَا سَمِعَ)[١].

قال النووي ﵀: (إذا حَدَّثَ بكل ما سمع كَثُرَ الخطأ في روايته، فتُرِكَ الاعتمادُ عليه والأخذ عنه)[٢].

وذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة أن إسحاق بن منصور الكَوْسَج كان فقيهًا عالـمًا، وهو الذي دَوَّنَ عن الإمام أحمد المسائل في الفقه، وقال حسان بن محمد: سمعت مشايخنا يذكرون أن إسحاق بن منصور بلغه أن أحمد بن حنبل رجع عن تلك المسائل التي علَّقَها عنه، فجمع إسحاق بن منصور تلك المسائل في جراب، وحملها على ظهره، وخرج راجلًا إلى بغداد وهي على ظهره، وعرض خطوط أحمد عليه في كل مسألة استفتاه فيها، فأقرَّ له بها ثانيًا، وأُعجِبَ أحمد بذلك من شأنه[٣]. وقد أورد هذه القصة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في كتابه (صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل)، وبَوَّبَ لها بعنوان: (رحلة أبي يعقوب الكَوْسَج للإمام أحمد من نيسابور إلى بغداد راجلًا للتثبت من المسائل التي أخذها عنه وهو يحملها في جراب على ظهره).

فصفات أهل العلم أنهم يتثبتون مما يرد إليهم من أخبار، ولو كلفهم ذلك الارتحال مشيًا من نيسابور إلى بغداد من غير دابة!، ولهذا أُعجِبَ الإمام أحمد من شأن هذا العالم، لأن هذه من صفات المحققين من العلماء دون أدعيائه، وقد تبين لهذا العالم عند التثبت أن ما وصله من خبر عن الإمام أحمد لم يكن صحيحًا، وهذا يُبيِّن مدى أهمية التثبت مما يرد للمرء من أخبار.

وعلى هذا النهج قام علم الحديث، وسار عليه النُّقَّادُ من المحدثين، فحققوا ما وصلهم من أخبار النبي ﷺ وأصحابه، فكان منها الصحيح والحسن والضعيف والمتروك والموضوع، وغير ذلك من الأصناف المعروفة لديهم.

---

[١] صحيح مسلم (٥/٥).

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي، ١٣٣/١.

[٣] طبقات الحنابلة، ٣٠٦/١.

منهج التعامل مع الأخبار والشائعات

❖ **خطورة نشر الشائعات والأخبار الكاذبة:**

الشائعات ليس فيها خير أو مصلحة، ولا تكون إلا وسائل هدم، وقد كانت الشائعات سببًا في صد الناس عن دعوة النبي ﷺ في مكة، وكانت سببًا في تفرق صف المسلمين في غزوة أحد، حين أشيع أن النبي ﷺ قُتِلَ، فاضطربت الصفوف وانهارت المعنويات ووقع الارتباك والتخبط بينهم، فمن الصحابة من فر إلى المدينة، ومنهم من انهارت نفسه وقعد عن القتال في أرض المعركة، وثبت بعضهم واستمروا على قتال المشركين حتى أعاد الله النصر على أيديهم، وكذلك كانت الشائعات سببًا في حصول الاضطراب في مدينة النبي ﷺ وانتشار ظن السوء بين بعض الصحابة ﵃، حين أشاع المنافقون ما أشاعوه عن عائشة ﵂ في حديث الإفك، وكذلك في خلافة عثمان ﵁ لما أشاع الكاذبون عنه الظلم والمحاباة لأقربائه، وكان عبد الله بن سبأ على رأس هؤلاء الكاذبين، فكانوا سببًا بشائعاتهم في حصول الشر ووقوع الفساد، حتى قُتِلَ الخليفة عثمان ﵁، وكان هذا سببًا في حصول الاقتتال بين علي ومعاوية وغيرهم من الصحابة ﵃ بعد ذلك، كما كان سببًا في افتراق الأمة، وذلك بظهور الخوارج، ثم الشيعة والمرجئة، وغير ذلك من الفرق التي نشأت وظهرت كردود أفعال على بعضها البعض.

وفي زماننا كذلك كانت الشائعات بابًا للمفاسد والشرور، فقد كانت سببًا في صد الأمة زمنًا طويلًا عن الجهاد في سبيل الله، بسبب ما أشاعه أعداء هذا الدين كذبًا عن المجاهدين، وتصويرهم على أنهم إرهابيين وتكفيريين وأن في حكمهم خراب للأمة، وغير ذلك مما أشاعوه في وسائل الإعلام التابعة لهم، كذلك فقد كانت الشائعات سببًا في حصول كثير من الفتن وتفريق صف المجاهدين بالشام، بل تفريق صف الجماعة الواحدة، وهذا من عظيم الشر والفساد، إذ مآله – للمتأمل المنصف – وقوع الفرقة والاقتتال بين المجاهدين، كما وقعت بين خيرة الصحابة ﵃، وربما عظم الشر وآل للصد عن سبيل الله وتعطيل الجهاد، وكفى بهذا إثمًا وشرًا وفسادًا.

والشائعات فيها نوع إرجاف، وذلك أن الإرجاف هو الحديث عن قوة العدو وتجهزه للحرب، على سبيل تخويف المسلمين وبث الخوف والرعب في صفوفهم، ليحصل التخبط والاضطراب بينهم، ويؤول بهم الأمر إلى الهزيمة، وهو نوع من الحرب النفسية، وكثير من الشائعات تحقق شيئًا من هذا المقصد، فالشائعات والأراجيف بينها قدر مشترك قصدًا ومآلًا، ولهذا صار بينها قدر من الشبه الموجب لاشتراك الذم.

قال القرطبي ﵀ في تفسير قوله تعالى: ﴿**لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا**﴾[1]: (وقيل: هم قوم من المسلمين ينطقون بالأخبار الكاذبة حبًا للفتنة، وقد كان في أصحاب الإفك قوم مسلمون، ولكنهم خاضوا حبًا للفتنة. وقال ابن عباس:

---

[1] الأحزاب: ٦٠.

الإرجاف التماس الفتنة، والإرجاف إشاعة الكذب والباطل للاغتمام به)[1].

والمرجِفُ لا يُسمعُ له، سواء كان من المتخصصين في نقل الأخبار، كالصحف والقنوات الإخبارية – وهؤلاء في زماننا ينتشر فيهم الكذب، بل يندر فيهم الصادق المتثبت المتحري للصدق في نقله –، أو كان من الجنود المقاتلين والمجاهدين في سبيل الله، أو كان من عامة المسلمين، أو كان من المنتسبين للعلم والجهاد والمتصدرين للفتوى، بل قد يكون خطر هؤلاء أشد، لانخداع الناس بهم ووثوقهم فيهم واقتدائهم بهم، والتعامل الشرعي مع أي من هؤلاء هو الإعراض عنهم وهجرهم وزجرهم، وإيقاع العقوبة الرادعة لهم عند الإمكان والقدرة.

❖ منهج التعامل مع الأخبار الصحيحة:

والأصل أنه ليس كل ما يُعلَم يُقَال، وإنما ينبغي مراعاة المصلحة والمفسدة في ذلك، فقد يكون الكلام أو الخبر صحيحًا، لكن ليس من المصلحة نشره بين الناس، وإنما يُخَصُّ به أهل العلم والرأي وأولو الأمر، وهذا المنهج اتبعه رسول الله ﷺ، كما اتبعه أصحابه من بعده، وقد أشرنا لكلام عبد الرحمن بن عوف مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما لما أراد الكلام في موسم الحج أمام العامة، ومن أمثلته كذلك ما فعله النبي ﷺ في غزوة الأحزاب، حين أتاه خبر نقض بني قريظة للعهد، فأرسل إليهم سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وعبد الله بن رواحة وخَوَّات بن جبير رضي الله عنهم يتحققون الخبر، وقال لهم: **﴿انْطَلِقُوا حَتَّى تَنْظُرُوا، أَحَقٌّ مَا بَلَغَنَا عَنْ هَؤُلَاءِ القَومِ أَم لَا، فَإِن كَانَ حَقًّا فَأَلْحِنُوا لِي لَحنًا أَعرِفُهُ، وَلَا تَفُتُّوا فِي أَعضَادِ النَّاسِ، وَإِن كَانُوا عَلَى الوَفَاءِ فِيمَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُم فَاجهَرُوا بِهِ لِلنَّاسِ﴾**[2].

فأمرهم النبي ﷺ بكتم الخبر عن الناس ولو كان صحيحًا، وأن يُلحنوا له لحنًا يعرفه هو ولا يعرفه غيره، حتى لا يَفتُّوا في أعضاد الناس، ويكونوا سببًا في تخويفهم وإرباكهم بسبب نشرهم لهذا الخبر، رغم صحته، وذلك لأن في إشاعة مثل هذا الخبر في هذا الموقف شر وفساد كبير – وإن كان صحيحًا –، وهذا فقه نبوي ينبغي مراعاته في نشر الأخبار الصحيحة، فالبعض في زماننا أصبح همَّه مسابقة غيره في نشر الخبر، دون التأكد من صحته وكذبه، ودون النظر إلى ما يترتب على نشره للخبر من مصالح ومفاسد، وهذا ليس من هدي النبوة، ولا من منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وإذا كان هذا في الأخبار الصحيحة، فهو في الشائعات والأخبار الكاذبة أشد وآكد.

وتقدير المصلحة أو المفسدة المترتبة على نشر الخبر يرجع لأولي الأمر، وهم الأمراء والعلماء كما جاء في التفسير، ولهذا أمر الله تبارك وتعالى بإرجاع الأمر إليهم في ذلك، وذلك في قوله تعالى: **﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾**.

❖ قواعد في التعامل مع الشائعات:

١- الأصل هو التثبت والتبين من الأخبار التي تنتشر بين الناس، والتأكد من صدقها وصحتها دون التعجل

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، ١٧/٢٣٤.

[2] السيرة النبوية، ٣/٥٦٧.

في ذلك، فلا يجوز التسرع في نقل الأخبار والشائعات دون التحقق منها، لأن هذه من صفات المنافقين الذين يسعون لإحداث الفتنة في صفوف المسلمين، وهذا الفعل هو من اتباع الشيطان كما ذكر الله في الآية ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

٢- كل من عُلِمَ عنه حالًا معينًا فلا يُصدَّق ما يقال فيه مما هو موافقٌ لحاله إلا بعد تثبت وتيقن، كما فعل النبي ﷺ في بني قريظة، ويتأكد الأمر ويشتد إذا كان ما يقال فيه على عكس حاله، كما في حديث الإفك.

٣- كل من عُلِمَ عنه نشر الشبهات والشائعات والأراجيف ينبغي صرف النظر عنه وعدم السماع له، ولو كان من خير الناس ظاهرًا، لقوله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، وهذا فيمن كان حاله انتهاج نشر الشائعات والأكاذيب دون تحقق وتثبت، وأما من خُدِعَ بشائعة أو أكثر فنشرها ثم تراجع عنها بعد ثبوت كذبها، وعاد لانتهاج التثبت بعد ذلك، فلا ينطبق عليه هذا الكلام، لأن المرء مُعرَّضٌ للخطأ والانخداع ببعض الأخبار، كما وقع لحسان وغيره من بعض الصحابة رضي الله عنهم في حديث الإفك.

٤- بعض الشائعات قد تشبه في ظاهرها الأخبار الحقيقية، لكن هذا لا يُخرجها عن كونها شائعة، كما في حديث الإفك، ووقوع المرء فيما يشبه التهمة ظاهرًا ليس بتهمة، ولا يرتقي بالشائعة للخبر الحقيقي، طالما لا يُتصور في حق المُشاع عنه ما يُقال ويُشاع، ويبقى على الأصل، وهو براءة الذمة وإحسان الظن، إذ البينة على من ادعى، وينتقل إساءة الظن لصاحب الإفك ومتولي كِبرَه، كما كان الحال مع عبد الله بن أُبَيٍّ بن سلول.

٥- السكوت عن رد الإفك لفترة - وإن طالت - لا يعني صحته أو صحة الشائعة، فقد تأخر الوحي شهرًا في تبرئة عائشة رضي الله عنها، واستمر الناس يخوضون في الإفك شهرًا، وهذا التأخر لا يعني صحة الإفك الذي يقال، بل يبقى الأصل المقرر ببراءة الذمة وتقديم إحسان الظن في حق من عُلِمَ عنه الخير، كما فعل أسامة وزينب وبُرَيرَةَ.

٦- ينبغي للمرء أن يصرف سمعه وقلبه عن مصادر الشائعات والشبهات وألا يُتبِعها نفسه، لئلا يتسلل الشك إلى قلبه، ويقع الارتياب في نفسه، فيؤول به الأمر انتكاسًا وتركًا لما هو عليه من الإيمان والعمل الصالح، وذلك اتباعًا لمفهوم قول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

هذا ما فتح الله به ويسر كتابته في باب منهج النبي ﷺ في تلقي الأخبار والشائعات والتعامل معها

والحمد لله رب العالمين ...

أنس خطاب

بلاد الشام

الأربعاء ١٥ ذو الحجة ١٤٣٨هـ

٦ / ٩ / ٢٠١٧م

المراجع

(مُرتَّبة أبجديًا)

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: الكتب العلمية:

١- الأدب المفرد الجامع للآداب النبوية، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق - السعودية، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

٢- التفسير والبيان لأحكام القرآن، عبد العزيز بن مرزوق الطريفي، دار المنهاج، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ.

٣- الجامع الصحيح (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري، ت: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

٤- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد القرطبي، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٥- السنن الكبرى، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٦- السيرة النبوية، ابن هشام، ت: ناجي إبراهيم سويد، دار الأرقم.

٧- المسند الصحيح المختصر من السنن (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج، ت: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار قرطبة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٨- المنهج الحركي للسيرة النبوية، د/ منير محمد الغضبان، مكتبة المنار - الأردن، الطبعة السادسة ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

٩- تفسير القرآن العظيم، أبي الفداء إسماعيل بن كثير، ت: يوسف بن علي بديوي - حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير - دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.

١٠- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت: د/ مصطفى عبد الواحد، لجنة إحياء التراث الإسلامي بوزارة الأوقاف بجمهورية مصر العربية، طبعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١١- سنن أبي داود، أبي داود السجستاني، ت: شعيب الأرناؤوط - محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

١٢- صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل - السعودية، الطبعة الرابعة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

١٣- صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين النووي، ت: مُوَفَّق مرعي، دار الفيحاء - دمشق، دار المنهل - ناشرون، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.

١٤- طبقات الحنابلة، القاضي أبي يعلى الفراء، ت: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الأمانة العامة للاحتفال بالمملكة العربية السعودية، طبعة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
١٥- عون المعبود بشرح سنن أبي داود، أبو عبد الرحمن شرف الحق العظيم آبادي، ت: أبو عبد الله النعماني الأثري، دار ابن حزم - بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٦- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

الفهرس



جاءت هذه الرسالة لتُبَيِّن منهج النبي ﷺ
في تلقي الأخبار والشائعات والتعامل معها
وقد ظهر لي معالم هذا المنهج أثناء قراءتي للسيرة النبوية
وهو ما أذكره في هذه الرسالة بشيء من التفصيل
ومنهج النبي ﷺ هو المنهج الذي قرره القرآن
إذ النبي ﷺ كان خُلقه القرآن كما جاء في وصفه
وكذلك هو منهج السلف الذين ورثوا هذا المنهج
عن رسول اللّٰه ﷺ واتبعوه واقتدوا به فيه.